تحريضهم يبقى سطحيا قليل الاثر ، طالما انهم لم يؤطروا داخل حزب يمثل طبقة راغبة في تغيير بنية المجتمع ، ويقود نضال هذه الطبقة من اجل التغيير ، ويعتبر التحريض عملية حرث ايديولوجية تصب في طاحونة النضال الرامي الى التغيير ، ٣ ــ ان حركة جماهير المجتمع الراسمالي الاميركي ستنبع اساسا من وعيها بتناقضها الطبقي (المصلحي) مع البنيات الفوقية الحاكمة . وان تسريع هذا الوعي يمكن ان يتم بفضل عدة عوامل ، ومن بينها نضالات شعوب العالم الثالث ، والتأثيرات المباشرة وغير المباشرة لهذه النضالات على العجلة الاقتصادية الاميركية ، وعلى امن الفرد الاميركي ومصالحه ، ٤ ــ ان الجماهير الاميركية لم تهتم بالحرب الفيتنامية بشكل جدي ، ولم تشكل عاملا ضاغطا على السياسة الاميركية في جنوب شرقي آسيا الا عندما أدى التورط الاميركي في فيتنام الى انهاك الاقتصاد الاميركي ، ومقتل الشباب الاميركيين في حرب لا يعرفون أهدافها ، ولا يؤمنون بعدالتها ، ولا يعتقدون بأنها تدور من أجل مصلحة الشعب الاميركي المباشرة، ٥ ــ ان الضغط القاعدي الاميركي لتعديل سياسة واشنطن المتحيزة في الشرق الاوسط ، لا يمكن ان يأخذ حجما فعالا الا عندما يؤدي تصعيد النضال الجماهيري العربي (العسكري والاقتصادي والسياسي) الى التأثير على امن المواطن الاميركي العادي ومصالحه ، ويدفعه الى الخروج عن سلبيته السياسية ، وامعان التفكير في مدى تناقض مصلحته الذاتية مع مصلحة الصهيونية ، وفي مدى تناقض مصلحته كفرد وكجزء من طبقة مع سياسة دولته التي تمثل انعكاسا للترابط المصلحي العضوي بين الامبريالية والصهيونية . وعندها يتحقق قانون العلاقة الجدلية بين نضالات الجماهير العالمية بصورة عامة ، وبين نضالات جماهير العالم الثالث ونضال جماهير العالم الراسمالي بصورة خاصة .

وانطلاقا من كل هذه الحقائق ، فان بوسعنا القول ، ان غياب فولبرايت عن المسرح السياسي الاميركي يمثل خسارة لصوت محرض داخل معسكر العدو الامبريالي . فمن يجرؤ مثل فولبرايت على أن يقول للاميركيين والاسرائيليين : « ان قصر النظر الاسرائيلي أمر يمكن فهمه بوجود عقلية الحصار في اسرائيل . ولكن الذي لا يمكن فهمه هو وجود هذه العقلية عند مؤيدي اسرائيل في الولايات المتحدة. اولئك الذين يشجعون اسرائيل بمواقفهم المتصلبة ، ويدفعونها الى الاستمرار في طريق يؤدي بها الى الهلاك. وربما الى هلاكنا أيضا»(٨) . ومن يستطيع مثله أن يدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني بقوله « ان للشعب الفلسطيني الحق بوطن له »(٩) . . . «ان غالبية المسؤولين في بلدنا واقعة تحت تأثير السيطرة الاسرائيلية . انها لا تنكر حق الشعور الوطني الفلسطيني فحسب، ولكن هناك أيضا اشخاصا حكماء مثل مرشحي ولاية نيويورك الذين دخلوا في نقاش حاد حول من يكون منهما أشد معارضة لدولة فلسطينية »(١٠) .

ان جاكسون سيشعر براحة كبيرة بعد غياب رقيب مدقق مثل فولبرايت عن الكنغرس . اذ انه عندما نادى بحقوق اليهود السوفييت بالهجرة مستندا الى البند الثالث عشر من الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، والذي ينص على أنه « يحق لكل انسان مغادرة أي بلد بما فيه بلده ، والعودة اليه » ، ذكره فولبرايت بأن البند لا ينص على « حق المغادرة » فحسب ، بل على « حق العودة » أيضا . وسأله ما اذا كان حق الفلسطينيين بالعودة الى بيوتهم التي طردوا منها أقل شرعية من حق يهود الاتحاد السوفييتي باقامة بيوت جديدة على أرض جديدة(١١) .

وبالاضافة الى عداء الصهيونية وحملتها المكارثية الجديدة ، فقد كان هناك سبب اخر وراء انتهاء الدور السياسي لفولبرايت بهذا الشكل . ويتمثل هذا السبب بالعقلية